

# السيد بيير كورني

بمستلم

الدكتور كمال فريد

أستاذ الأدب الفرنسي المساعد بجامعة عين شمس

(١٦٧٣) وبوالو (١٦٣٦ - ١٧١١) . على كل فانه مما لا شك فيه أنه لم يترافع إلا مرات قليلة ويرجع ذلك إلى أنه لم يكن طلق اللسان فلا يسترعى التفات مستمعيه إلا نادراً . ولقد اعترف هو نفسه بهذه الحقيقة فقال : « وقلماً يستطيعون الإنصات إلى دون ملل » . وعندما تبينت أسرته قصوره عن المرافعات المرتجلة ، اشترى (١) له والده في سنة ١٦٢٨ وظيفتين إحداهما وظيفة محامى الملك في إدارة المياه والغابات والأخرى وظيفة المحامى الأول للملك في المحكمة البحرية بمدينة روان . ولم تكن هذه المناصب تدر على صاحبها راتباً دون أن تستلزم منه أية خدمة إذ أننا لو رجعنا إلى سجل الجلسات نجد أن كورني أدى عمله بأمانة كاملة طوال إحدى وعشرين سنة حتى في تلك السنوات التي كان يؤلف فيها أروع مسرحياته . وما فائدة هذه التفاصيل ؟ يجب إيضاح ذلك لنبين أن كورني أطلال إقامته في بلده ولم يستقر نهائياً في باريس إلا عندما بلغ السادسة والخمسين من عمره . وقد أضفى بعده عن مركز الحياة الأدبية والاجتماعية بباريس على إنتاجه الأدبي طابعاً خاصاً مميزاً .

كان المؤلف المسرحي الكلاسيكي (١) بيير كورني قد تجاوز الثلاثين من عمره عندما مثلت مسرحية السيد التراجي - كوميديا (٢) في ديسمبر سنة ١٦٣٦ إذ أنه ولد في ٦ يونيه سنة ١٦٠٦ بمدينة روان بفرنسا . وهو ينتمي إلى أسرة برجوازية (٣) اشتغلت بالحاماة والقضاء . فكان جده قاضياً وأبوه محامياً . وعندما بلغ التاسعة من عمره التحق بمدرسة الأباء اليسوعيين ببلدته فنبغ في دراسته وخاصة في الشعر اللاتيني . وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره قام بدراسة القانون الذي كان يعتبر وقتئذ من مستلزمات التربية الصحيحة في الطبقة المتوسطة . وفي يونيه سنة ١٦٢٤ أى بعد أن أمضى سنتين فقط في دراسته القانونية حصل على أجازة الحقوق وقيد اسمه في سجل المحامين . ويدعى ابن اخته فونتونيل (١٦٥٧ - ١٧٥٧) أنه لم يترافع سوى مرة واحدة مما لا يمكن تصديقه . فقد ردّدوا هذا القول عن مولير (١٦٢٢ -

(١) أطلقت كلمة « كلاسيكي » على فئة من الكتاب والفنانين ، عاشوا في فرنسا في القرن السابع عشر ، وأصبح كثير من منهم ذوى شهرة تجاوزت الأفاق .

(٢) أى المأساة المطلقة . وقد تجاوزوا فيما بعد عن هذه التسمية وأطلقوا عليها سنة ١٦٤٤ اسم تراجيديا فقط .

(٣) أى من الطبقة المتوسطة .

(١) كانت توجد تسعيرة خاصة للوظائف في القرن السابع عشر ويتحتم دفع المال للحصول على بعضها .

ولمّا كان كورنى قد افتقر كحام إلى القرينة وطلاقة اللسان، فإن هذا لم يمنعه من أن يشغل بجدارة تلك الوظائف التي تتطلب أحكاماً عادلة وحججاً قوية وبراعة أكثر من اعتمادها على البلاغة والفصاحة. وقد نعى عنده ذلك ميله واستعداده للمناقشة القضائية التي نجد لها بعض الأثر في مسرحية السيد حيث يتولى كل من دون دياج وشيمين الدفاع عن قضيته أمام الملك، مما جعله يقرر ارجاء حكمه إذ أن الأمر كان من الأهمية بمكان ويستحق أن يتداول فيه مجلس القضاء.

وكان كورنى يتردد في أوقات فراغه على الصالونات<sup>(١)</sup> الأدبية في بلده بالرغم من انطوائه على نفسه. وكان شديد الحساسية ولذا سرعان ما تفتح قلبه لحبة شابة من أهالي روان تدعى كاترين هو ولكنه لم يتزوجها وألف بهذه المناسبة مسرحية هزلية اتخذت موضوعاً لها تلك المغامرة العاطفية «ميليت أو الرسائل المزيمة». وقد انتهز كورنى فرصة مرور فرقة الأمير دى أورانج بروان وقدم لرئيسها الممثل موندورى تلك المحاولة المسرحية الأولى التي مثلت في باريس على مسرح «دى ماريه» في سنة ١٦٢٩. وقد صرح كورنى بأنها لاقت نجاحاً باهراً إذ تمكن مؤلف مسرحي للمرة الأولى أن يثير الضحك دون وجود شخصيات مهترجة فضلاً عن استعماله أسلوباً مهذباً. ومنذ ذلك التاريخ سعى كورنى ليفرض نفسه على جمهور باريس فكتب عدة مسرحيات جديدة منها «كليتاندر» (١٦٣٢) و«الأرملة» (١٦٣٣) وهي مسرحية فكاهية تتميز بهزل المكيدة<sup>(٢)</sup> ثم قدم «رواق باريس» (١٦٣٤) حيث ظهرت للمرة الأولى في إحدى المسرحيات الفكاهية شخصيات تنتمي

(١) المنتديات.

(٢) ينجم هزل المكيدة أو الموقف الخرج من الارتباك التي يقع فيها الأشخاص عند سير أحداث المسرحية، أو المواقف الغير المنتظرة التي تجمع أشخاصاً لا ينبغي أن يلتقوا أو تفرق بين أشخاص يبحثون عن بعضهم، أو الحديث بين شخصين يعتقدان أن هدفهما واحد مع أن الحقيقة عكس ذلك.

إلى الطبقة العليا. وفي العام ذاته قدم كورنى «التابعة» و«الساحة الملكية». وترجع أهمية المسرحية الأخيرة إلى شخصية أليدور الذي يجمع أهم مميزات أبطال كورنى فإنه يقدس الحرية ويختبر قوة إرادته باخضاعه حبه لمطالب مجده. وقد نشر كورنى في سنة ١٦٣٥ مأساة «ميديه» فلم تلق نجاحاً. وفي سنة ١٦٣٦ عاد إلى الملهاة بمسرحية «الوهم المضحك». ومع أننا لا يمكننا مقارنة مسرحيات كورنى الهزلية بمسرحيات موليير إلا أنها فاقت في النجاح تلك المسرحيات المتكلفة الحشنة السابقة لها. وبالرغم من هذا النجاح، فقد أبدع واشتهر بمسرحياته التراجيدية.

وقبل أن نتحدث عن مأساته الخالدة «السيد» (١٦٣٦) التي أوصلته إلى المجد والشهرة يجب أن نذكر بأن الحدث في المسرحيات التراجيدية السابقة له كان روائياً ومعقداً وتنقصه الوحدة المنطقية. وقد نقل كورنى مسرحية السيد التي تتكون من خمسة فصول عن مصادرهما الأسبانية.

يكون المشهدين الأول والثاني من المسرحية مقدمة ممتازة. فحديث شيمين مع وصيفها أليور يعرفنا بالبطلين اللذين سيشتغلان المقام الأول في المسرحية إذ تنضح محبة شيمين لرودريج وتمنيها أن تتاح لحبها تلك الحرية التي تسمح له بالظهور في وضوح النهار. وعندما تنقل إليها وصيفتها حديث والدها عن موضوع زواجها تلمس فيها تلك الابنة المطيعة التي تترك له اختيار أحد اللذين تقدموا للزواج منها وهما دون رودريج ودون صنش مخفية حقيقة مشاعرهما تجاه رودريج. ولحسن حظها يتفق اختيار والدها مع ميلها الشخصي. فنلقى كلمات والدها «إن ابنتي تستطيع أن تحبه وترضيني» التي تنقلها إليها أليور صدى جميلاً في نفسها. ومما زاد سرورها إشادته بكفاءة رودريج وفضائل والده ومجد أسرته. لقد أدرك كورنى أن التوافق التام بين أسرى رودريج وشيمين سينقلب إلى الضد على أثر قتل رودريج لوالد شيمين.

في مبارزة بينهما . ومثل هذا التناقض من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المؤلفون المسرحيون كما نشهد ذلك على سبيل المثال في الفصل الأخير من مسرحية « هرثاني » ( ١٨٣٠ ) للكاتب الشهير فكتور هوجو ( ١٨٠٢ - ١٨٨٥ ) . ولقد أعلن الأب رأيه في رودريج وهو في طريقه إلى المجلس الذي سيختار فيه الملك مربية لابنه ، هذا الاختيار الذي سيسبب النزاع الرهيب بين الأسترتين . وبالرغم مما زفته إليها الفير من الأخبار السارة فإنها تصارح وصيفتها بأنها تخشى القدر . ولا شك أن كورنى أثبت أنه كاتب مسرحى من الطراز الأول بافتتاح مسرحيته بهذا المشهد إذ كما قال فولتير : « هل يمكن الاهتمام بالنزاع بين الكونت ودون دياج لماذا لم تكن ملمين بالحب بين أولادهما ؟ » .

إن المشهد الثانى يظهر خلق ليونور ابنة ملك أسبانيا ويكشف عن الدور الذى تقوم به في المسرحية . إنها تشعر بميل شديد نحو رودريج ولكنها باعتبارها أميرة لا تستطيع أن تزوج إلا من أمير مثلها ، وإن واجبها وشرفها يحتمل عليها ألا تستجيب لنداء هذا الحب . ويمكننا اعتبارها بطلّة من أبطال كورنى الذين يسعون قبل كل شيء للوصول إلى المجد ويعملون لنصرة الواجب والشرف . إنها تكافح بشجاعة لتنتصر على قلبها وعواطفها مضحية بحبها في سبيل ذلك . فقد امتدحت رودريج أمام شيمين لتدفعها إلى حبه كما صرحت بذلك لوصيفتها ليونور ولكنها لم تجد الراحة المنشودة لأن « الحب طاغية لا يرحم أحداً » . ومع ذلك لم تكف عن مقاومة مشاعرها فتعمل على تعجيل زواج شيمين لكى تقضى على كل أمل عندها في هذا الحب قائلة « إن أحلى آمالى قطع الأمل » في حبي .

وفي المشهد الثالث نشاهد الكونت والد شيمين ودون دياج والد رودريج خارجين من القصر . ويحسن أن ننقل هنا بعض الحوار الذى دار بينهما والذى نلمس فيه بعض الهجوم الموجه للسلطة المطلقة للملوك .

الكونت : وأخيراً قد نلت مرادك . وأن رعاية الملك رفعتك إلى منصب لم يكن يستحقه سوى . لقد عينك الملك مربيةً للأمير .

دون دياج : إن هذا الشرف الذى يضيفه على عائلتي يوضح للملأ عدله ويبين بجلاء كيف أنه يستطيع أن يكافئ عن الخدمات السابقة ؟

الكونت : إن الملوك مهما بلغوا من العظمة ، فإنهم مثلنا ومعرضون للخطأ كسائر البشر . ويكفى هذا الاختيار دلالة للحاشية على أن الملوك لا يجزلون العطاء على الخدمات الراهنة .

دون دياج : دعنا الآن من الحديث عن اختيار يثير نفسك . فإنى قد نلت هذا المنصب بالإكرام والاستحقاق . فعلينا بالخضوع للسلطة المطلقة للملوك . ومتى أراد الملك ثمة شيء فلا يجوز مناقشته . وإذا شئت فهيا نضيف شرفاً إلى الشرف الذى منحنى إياه ولنسعى سوياً لربط أسرتنا برباط مقدس : أنت ليس لك إلا ابنة واحدة وليس لى إلا ابن واحد ، وبزفافهما يتأكد ما بيننا من الوداد . فأسد لنا هذا الجميل واقبل ابنى صهرراً لك .

الكونت : أصبح ابنك في مقام يسمح له بأن يطمح لنسب أعلى لما يداخله من رتبتك هذه من الكبر والفخر . فتمتع بذلك يا سيدى وأدب الأمير . وعلمه عملياً كيف يجب أن يحكم ولاية ما . ويجعل الشعوب ترتعد تحت حكمه . وأن يهب إحسانه وحبه للأبرار ويقسو على الأشرار .

دون دياج : يكفيه أن يقرأ تاريخ حياتى . فان لى ثمة أعمالاً باهرات .

الكونت : إن الأمثلة الحية لها سلطان وتأثير آخر . :

إن الذي فعلته في سنين عديدة لا يوازي ما فعلت أنا في يوم واحد . فإن كنت شجاعاً فيما مضى فأنا شجاع اليوم . وإن في ساعدي هذا عضد المملكة . وإن غرناطه وأرغونيا لترتجفان وترهبان بريق حسامى ...

لولاى للملكم الأعداء واسترقوكم بقوانينهم دون دياج : إني أعلم أنك تخدم الملك بإخلاص منذ أن

كنت تحارب وتعمل تحت قيادتي . أما الآن وقد بلغت من الكبر عتياً ، فقد حللت مقامى وأظهرت كفاءة نادرة . وأخيراً كفى لا أطيل عليك الحديث ، أقول إنك أنت اليوم كشخصى بالأمس .. ولقد رأى الملك أن يقدمنى عليك .

الكونت : لقد نلت ما كنت أنا بجديراً به .

دون دياج : لا فإن من نال أمراً كان له أهلاً .

الكونت : ولكن كان يجب أن يعطى القوس باريها . وما بلغت هذا المنصب إلا لأنك من رجال الحاشية القدماء .

دون دياج : لا بل قد نلته بأعمالى المحيطة .

الكونت : فلنوجز الحديث ونقول إن الملك قد راعى في ذلك كبر سنك .

دون دياج : بل راعى الملك شجاعتي .. ومن لم ينسل هذا الأمر ليس له بأهل .

الكونت : لست له بأهل ! أنا ؟

دون دياج : نعم أنت .

الكونت : يا لوقاحتك أيها العجوز الجسور التى تستحق جزاءها ( وعندئذ يلطمه ) .

دون دياج : ( يستل سيفه ولكنه يعجز عن الضرب ) أعم عملاك وانزع روحى بعد أن جللتى العار الذى يحمر له جبين سلاتى .

الكونت : فيم تفكر وقد بلغ منك الضعف مداه ؟

دون دياج : آه ما أمر أن تخور قواى عند حاجتى إليها في مثل هذا الظرف !

الكونت : أعمد سيفك فلست له أهلاً .. وداعاً . اذهب وقص على أميرك تاريخ حياتك عساه يتعلم منك .

لا يتعرض كورنى لتفاصيل ما دار في مجلس الملك لأن ذلك لا يهم المشاهد في كثير أو قليل بل يكتفى بذكر من وقع عليه الاختيار وينقل لنا الحوار الذى دار بين الكونت ودون دياج خارج المجلس وفي غياب الملك خلافاً لما ورد في الرواية الأسبانية التى استقى منها كورنى . وقد أدى ذلك النقاش إلى لطم دون دياج ومهد للمبارزة التى ستم بين الكونت وابن دون دياج . ولماذا يثير هذا النزاع اهتمامنا ؟ لأنه سيؤثر على الحب الناشئ بين شيمين ورودريج كما أنه يجعلنا نعطف على دون دياج الذى حاول المستحيل ليهدي من ثورة الكونت وعلى مسلك ابنه رودريج الذى سينبرى للدفاع عن أبيه العجوز حفظاً على كرامته . وفي كل هذا سيتجلى الدفاع عن شرف وكرامة ومجد العائلة الذى هو من أهم مميزات مسرح كورنى .

وما أروع أسلوب كورنى إذ أن الحوار المطول بين دون دياج والكونت تحول في النهاية إلى ثورة غضب تجلت في تلك الردود السريعة التى لم يتجاوز بعضها بيتاً واحداً من الشعر وأصبحت أشبه بأسنة الرماح في معركة حامية الوطيس انتهت باهانة يتعذر الصفح عنها عند أبناء أسبانيا الذين يجرى في عروقهم الدم العربى ويضحون بحياتهم في سبيل الكرامة والشرف . لقد استبدت الأثرة بالكونت وفضل أن يضحى بسعادة ابنته على أن يرضخ لمشئته الملك . ولكننا نحن المشاهدين لم ننسبنا هذا الصراع الحب الذى يغمر قلبى شيمين ورودريج . ولا بد لنا من أن نتوقع الكثير بينهما .

لم يجد دون دياج أمامه سوى ابنه رودريج ليدافع  
عن شرفه وكرامته . فيدور بينهما الحديث الآتي :

دون دياج : هل أنت شجاع يا رودريج ؟  
رودريج : أى شخص سواك يا والدى كائناً من كان  
سيلمس ذلك على الفور .

دون دياج : ما أروعها غضبة ! .. وإنى لأرى نخوة  
شبابى فى هذا الحماس الشديد .. فتعال  
يا بنى .. تعال امح عارى وانتقم لى .

رودريج : ممن أنتقم ؟

دون دياج : من إهانة قاسية أصابت شرفنا ، من لطمة  
يستحق لاطمها فقدان حياته لو لم يخفى  
كبر سنى . هأنذا أهب لك السيف الذى  
عجزت يدي عن حمله للانتقام به .  
فاذهب يا بنى إلى هذا المتعبر وأرنى بأسك  
وشدة مراسك . فأغسل إهانة أبيك . فاقتله  
أو ليقتلك .. إن من ستنازله رجل شديد  
المراس .. ولكنى أزيدك معرفة به فهو  
بالإضافة إلى أنه مجندى شجاع وقائد عظيم  
فهو ...

رودريج : أرجوك أكمل .

دون دياج : والد شيمين .

رودريج : وا ...

دون دياج : لا تجب فأنا أعرف مدى جيبك . ولكن  
من يكون ذليلاً لا يكون أهلاً لأن يعيش .  
وكلما زاد قدر المسىء اشتدت الإساءة . وقد

عرفت الإهانة ويلزمك الانتقام . ولا داعى  
للمزيد . انتقم لى ولك واثبت أنك ابن  
جديري .

أخذ دون دياج يثنى على شجاعة الكونت ليحفز

ابنه الشاب الطموح الذى يسعى وراء المجد على الثأر  
منه . وفى البداية لم يذكر دون دياج اسم الكونت مما زاد  
حب استطلاع رودريج وأوجد لديه رغبة شديدة

لإثبات شجاعته . وفى النهاية تعمد دون دياج ألا يقول  
الكونت بل « والد شيمين » . وما الحكمة فى ذلك ؟  
إن دون دياج وجد أن الظرف لا يسمح بمراعاة شعور  
ابنه بل يتحتم أن يضع أمام عينيه التضحية الكبرى . إن  
كل المشهد الخامس من الفصل الأول يهدف إلى إعلان  
هذه الحقيقة . إن دون دياج يقدر مدى التضحية التى  
يطالب بها ابنه . إنه يطالبه بأن يضحى بحبه ويخاطر  
بحياته وإن كل شيء يهون فى سبيل الشرف والمجد .  
وهو واثق كل الثقة من أن ابنه سيلبى نداء الشرف  
فيحافظ على مجده ومجد أسرته . وعندئذ انتاب رودريج  
صراع عنيف ترجمه نجيب الحداد شعراً فقال :

يا زمان الأكدار ما ذى الشدائد

إن هذى السهام من كف عامد

ملأت قلبي الرزايا وضائق

دونها مهجتي وقل المساعد

يا لشار أتى على غير عدل

يا لعدل بدا على غير راشد

ما ترى حيلتي وقد وقع الخط

بان حولي وأى خطب أكابد

أنتقاماً لوالدى والذى أط

لب منه ثارى لشيان والد

أم سكوتاً ومن أهين أبى وال

مجد منى بمجده متعاقد

ذاك أمر قد حار فيه جنائى

بين مجد ورثته عن أمأجد

وغرام أضنى فؤادى فغن أير

هما ارتضى وأياً أجاهد

كيف يقوى قلبي على أخذ ثار

فيه يغدو لحبه وهو فاقد

يرفع الثار نصل سيفى لضرب

وغرامى فى طي قلبي يعاند

فأماى أمران إما انتقام  
أو سلو والقلب ولهان واجد  
أو غرام وعيشة تحت ذل  
أه ضاقت مذاهبي والمقاصد  
أأخلى أبى يهان أم أرضى  
بانتقام كلا المصايين واحد  
مات حظى من الهوى أو يموت الـ  
مجد منى كلاهما أنا ذائد  
بين عشق ووالد وحبيب  
وفخار يا قلب ما أنت قاصد  
فلماذا أنا محب شفيق  
بل لماذا ولدت من نسل ما جدد  
يا حساماً قلده لبلائى  
ليتنى لم أكن لبندك عاقد  
أترى لم أحملك إلا لأخذ الـ  
شار من والد لمن أنا عابد  
بل أنا لم أحملك إلا لأردى  
بك نفسى فغير ذا لست واجد  
فأبى والحبيب عندى حبيبا  
ن وكل يسؤنى وهو حاقد  
فإذا ما انتقمت ضاع حبيبى  
أو تبعت الهوى فذكرى خامد  
عظم الخطب بى فيا نفس موقى  
فهو أولى وما الغرام بخالد  
بل رويداً فإن تموتى يكن ذك  
رك عاراً ولم يكن لك حامد  
إذ يقول الأنعام مات ولم يأ  
خذ بثأر والمرء بالعار بائد  
وإذا الموت لازم فلأمت مد  
رك ثأر فالحب ليس بعائد

فدمى من أبى وليس من الح  
ب وذا حقه وما أنا بجاحد  
ولأبادر للانتقام ولو كا  
ن قتيلى به لشيان والد  
لقد وصلنا هنا إلى مرحلة حاسمة إذ أن الضرورة  
تحم على رودريج أن يختار بين المجد والشرف وبين حبه  
لشيمين . نلنس هنا الصراع العنيف الذى انتاب  
رودريج قبل تحديد مسلكه . ويجد المشاهد نفسه أمام  
مأساة . إنها لساعة حرجة تحدد مصير رودريج . إن كل  
مستقباه يتوقف على قراره فى هذه اللحظة . ولكى تقدر  
عظمته يتحتم عليه أن يظهر لنا مدى تضحيته وروعة  
مسلكه . وهذا من أهم ما يميز أبطال كورنى فإنهم  
يتحكمون فى الأحداث . ومهما بلغ اضطرابهم فإن  
هذا لا يحجب عنهم طريق المجد بل يسعون إليه رغم كل  
العراقيل والعقبات .  
نلنس فى البداية شكواه وحيرته وهذا أمر طبيعى  
بالنسبة لشاب لم يعش إلا لحبه . ثم يبدأ الصراع الذى  
ينتهى بنصرة الشرف والدفاع عن مجد العائلة . ولقد  
حازت معانى هذه الأبيات إعجاب معاصرى كورنى  
وباريس بأكملها . وما زلنا حتى اليوم نقدرها حق قدرها  
وخاصة قوله الذى قرر فيه الإقدام على التضحية .  
ومن أروع ما ذكر على لسان رودريج فى هذا  
المشهد السادس قوله : « إنى أجلب بانتقامى كراهيتها  
وغضبها كما أجلب بإحجائى عن الانتقام كراهيتها » .  
وهنا يتجلى الحب الحيد إذ أن رودريج يدرك تماماً أنه  
إذا تهرب من واجبه ستحتقره شيمين ولن ترضى  
بخطيب لم يدافع عن شرف ومجد عائلته . وعندما تبين  
رودريج أنه فى جميع الحالات سيفقد خطيبته أثر أن  
يفقدوها على أن يبقى جديراً بها . وهكذا يتمشى الحب  
الحيد مع الشرف .  
وفى الفصل الثانى أرسل الملك فرناند مستشاره دون  
أرياس لمقابلة الكونت وحثه على الاعتذار لمسلكه المتسم

بالخشونة . ولكنه استبد به الاعتزاز بالنفس ورأى أن  
أى تراجع سيجعله يبدو في مظهر مخز . وهكذا تحدى  
الكونت الملك والقدر ومهد بذلك للضربة التى ستصيبه .  
ولعل هذا هو الأثر الذى أراد أن يتركه كورنى في نفوسنا  
فندما واجه دون ارياس الكونت بقوله « احذر الصاعقة  
بالرغم من كل انتصاراتك » أجابه الكونت : « أنا  
أنتظرها بلا خوف منها » . وبمجرد خروج دون ارياس  
وصل رودريج ودار بينه وبين الكونت نقاش حامى  
الوطيس ، وكان أجمل ما جاء فيه قول رودريج :  
« إن المقدرة لا تقاس بعدد السنين » و « هل من ينزع  
منى الشرف نخشى أن ينزع حياتى » . وكل هذه الأمور  
من شيات أبطال كورنى . كان الكونت في بادئ الأمر  
يحدث رودريج بلهجة كلها تجبر وعجرفة وازدراء ،  
وعندما لمس اعتزازه بنفسه وعزمه على الدفاع عن والده  
أخذ يقدر هذا الشاب الذى قرر التضحية بحياته تمشياً  
مع قانون الشرف وحرصاً على مجد أسرته . وقد حاول  
أن يثنيه عن عزمه فأخذ يحدثه دون جلدوى عن مشروع  
زواجه من ابنته شيمين .

ولكن ماذا كان شعور شيمين بعد تلك الإهانة  
التي لحقت بوالد خطيبها . يمكننا أن نستشف ذلك من  
خلال الحوار الذى دار بينها وبين أوراك .

أوراك : ليس ثمة ما يوجب خوفك منه . إنه يحبك  
حياً لا مزيد عليه فهو لذلك لا يجسر أن  
يأتى بما تكرهين . وعند أول كلمة منك  
يزول غضبه .

شيمين : يا لعظيم مصابى إذا لم يطعنى ! وإذا أطاعنى  
فاذا يقول الناس عنه ؟ ثم هو من سلالة  
شريفة فكيف يطيق أن يتحمل مثل هذه  
الإهانة العظيمة .

وهنا نجد أن شيمين تعزز بكرامتها أما اعتزاز  
وترى أنه إذا سكنت رودريج على إهانة والده فهو غير

أهل لها وإن قاتل والدها فإنها لن تكون أحسن حظاً  
لأنها ربما تفقده أو تفقد والدها . وقد استصوبت  
أوراك رأيها . وفجأة نقل أحد خدم القصر خبراً مؤداه  
أن الكونت ورودريج خرجا من القصر وهما يتنازعا  
ويتناقشان بصوت منخفض . وعندئذ صاحت شيمين :  
« لا شك أنهما يتضاربان » فاختلت بنفسها في انتظار  
الفاجعة . أما أوراك فبدأ يعاودها الحين إلى حب  
رودريج . وهى وإن كانت تشفق على صديقتها إلا أنها  
أدركت أن هدم سعادة شيمين سينبئ عليها آمال واسعة  
بالنسبة لها . وأن الخطر المحدث بهذا الفارس الشجاع أخذ  
يوقظ في نفسها تلك العواطف الشاعرية إذ أن الانتصار  
سيضفى عليه مجداً عظيماً . وإذا كان يتعذر عليها أن تنزل  
إلى مستواه ، فهل هنالك ما يحول دون أن يرتفع إلى  
مستواها بأعماله المحيدة وانتصاره الباهر . ولكن ما ضرورة  
الزج بهذه الأميرة في هذه المسرحية ؟ لا شك أن كورنى  
أراد منذ بداية المسرحية أن يضفى عظمة على بطله وأن  
يظهره في مظهر الكائن العظيم الذى هو محط أنظار الفتاة  
الأولى في أسبانيا وأعنى بها ابنة الملك . وكل هذا يهيب  
أذهاننا لتقبل كل ما نسمعه ونشاهده من تصرفات لهذا  
البطل طوال المسرحية .

ولقد استعان كورنى بشخصية أخرى انبرت للدفاع  
عن الكونت . وقد جاء ذكرها منذ بداية المسرحية  
باعتبارها شخصية تحب شيمين وتتمنى الزواج منها رغم  
أن هذه الأخيرة لا تبادلها الحب وأعنى بها دون صنش :  
وذلك ليستعين به لنهو مسرحيته كما سنوضح ذلك  
فيما بعد .

ولقد أصاب كورنى بتمهيدته لتدخل هذه الشخصية  
في النهاية وفي تبرير مسلكها . إن هذه العبقريّة لا تهمل  
التفاصيل وتزن كل شيء . أسوة بالأميرة شعر دون  
صنش بالرضا عند علمه بالإهانة التي لحقت بدون  
دياج إذ أنه أدرك أنه يتعذر على رودريج الزواج من  
ابنة من أهان أباه وهكذا توقع أن يتخلص من منافس

خطير . فبدأ يداعبه الأمل وأراد أن يكتسب مودة الكونت فانبرى للدفاع عنه أمام الملك . وفي هذه الأثناء وردت للملك أخبار مؤداها أن بعض سفن الأعداء ظهرت في النهر كما علم في نفس الوقت من أحد الأشراف الأسبانيين بمصرع الكونت وأن ابن دياج غسل الإهانة التي لحقت بأبيه وانتقم له .

ولما علمت شيمين بقتل والدها في المبارزة التي تمت بينه وبين رودريج أسرع إلى الملك مطالبة بأن يأخذ العدل مجراه . وعندئذ أراد دون دياج أن يدافع عن ابنه فطلب إليه الملك أن يرجئ دفاعه ليستمع إلى شكوى شيمين . ولما بدأ عرض القضية تولى كل من دون دياج وشيمين المرافعة . ومما قالته شيمين : « مولاي ، لقد مات أبي ونظرت بعيني دمه يسيل بغزارة من جنبه الشريف . هذا الدم الذي طالما دافع عن أسوارك . . وفي سبيل انتصارك . . ذلك الدم الذي لم تقدر المعارك على إراقة نقطة منه قد أراقه رودريج في وسط ساحة قصرك » . ثم واصلت بعد ذلك دفاعها فقالت « وجدلته جثة لا حراك فيها . ودمه يسيل من جنبه كأنه يكتب لي على الأرض واجبي نحوه » . وهكذا بعد أن أوضح لنا كورني مدى حبها لرودرج يكشف لنا هنا عن المرأة التي تخشى أن تلبس أو تضعف وتحاول أن تحفز نفسها لتؤدي واجبها على الوجه الأكمل :

أما دون دياج فيفرض شخصيته على المجلس بكرامته وعظمته الهائلة . إنه يحترم ألم هذه الضحية البريئة . وإن ثناءه على تصرف ابنه معتدل ولعل ذلك يرجع إلى بعض المرارة التي يشعر بها لأنه لجأ إلى شخص آخر ليزود عن شرفه . ولم يتردد دون دياج في أن يعرض على الملك استعداده للتضحية بحياته لانقاذ حياة ابنه الذي ذاد عن شرفه . وبما أنه عاش شريفاً فسيموت غير آسف .

وأهم ما يسترعى التفاتنا في الفصل الثالث تلك المواجهة التي تمت بين رودريج وشيمين بعد انقضاء ساعات معدودة على قتل الكونت . ولكن كيف يمكن أن يستسيغ الجمهور مثل هذه المواجهة ؟ لقد مهد لها كورني بأن جعل رودريج يدخل إلى منزل شيمين قبل عودتها من القصر ويلتقي عند دخوله بالفير التي تصحبه بأن يبتعد عن الدار . وعندما سمعت خطوات سيدتها أجبرته على الاختفاء . وفي المشاهد التالية لا نراه ولكننا نعلم جيداً وجوده وبذا نعتاد تدريجياً على ذلك ونتوقع أن تتم مواجهة بينه وبين شيمين . وعادت شيمين وبصحبتها دون صنش الذي منح نفسه حق حمايتها وأبدى استعداده للدفاع عنها والانتقام من رودريج ولكنها أبت كي لا تسيء للملك الذي وعد بانصافها فنشعر بأنها مترددة في أن تعرض للمخاطر هذا الذي ما زالت تحبه ولذا صدرت عنها هذه العبارة المؤثرة « ما أشقائي » . وما أروع هذه الكلمة كما صرح فولير بذلك . فإنها عندما أبلغت شكواها إلى الملك اعتقدت أنها أدت واجبها ولكنها تبين أن الحنة قاسية وأنه يتحتم عليها أن تعادى دائماً رودريج وبشئ الوسائل إلى أن يلفظ نفسه الأخير . وبالرغم من ذلك اكتشفت أنها لا تزال تحبه ولذا يتحتم عليها أن تقاوم عواطفها بشدة لتؤدي واجبها على الوجه الأكمل . وعندما تركها دون صنش فتحت قلبها لوصيفها الفير كما يتجلى في هذه الأبيات التي ترجمها نجيب الحداد شعراً :

قد خلونا فصرت في خلواتي  
حرة أن أبيع مكتباتي  
وأريك الخفي من نار حزني  
وأسيل الدموع مزدوجات  
فأبي يا الفير قد مات لكن  
كيف أرضى من قتله ثارات  
والذي قد أماته هو حي  
في فؤادي مضاعف حسراتي



يا دموعى اهطلى فنصف حياتى  
لمصابى أمات نصف حياتى

ثم إني مضطرة لانتقام  
للذى قد مضى بما هو آت

اقتل الآن شطر عمرى حبا  
للذى قد قضى وفى ذا مماتى

ثم أخذت تدرس حالة قلبها وعواطفها بدقة وتوقف  
الفير على حقيقة مشاعرها .

الفير : استريحى يا شيمين .

شيمين : ويلاه ! كيف يمكنك الحديث عن الراحة  
فى مثل هذه النكبة العظمى . وكيف يمكن  
أن يهدأ حزنى إذا كنت لا أستطيع أن  
أبغض اليد التى سببتى ؟ وماذا يمكننى  
أن أرجو سوى عذاب أبدى طالما أنى  
أطالب بأن يأخذ العدل مجراه فى جنابة  
أحب جانيتها ؟

الفير : أحرماك من أهلك ولا تزالين تحبينه ؟

شيمين : ليس هو حبا يا الفير بل عبادة . إن شهوتى  
تعارض مع الإهانة التى لحقتنى . وإنى  
أجد الحبيب فى شخص العدو . وإنى لأشعر  
بالرغم من غضبى أن رودريج لا يزال  
يحارب أبى فى قلبى بلا انقطاع بين هجوم  
ومضايقة وغلبة ودفاع . . . وبالرغم من  
سلطان الحب على نفسى فإنى لا أزال  
أميل إلى اتباع واجبى . وسأجرى دون  
تردد إلى حيث ينادىنى الشرف .

وهكذا قدرت شيمين أن واجب الدفاع عن دم  
أبيها المسفوك أهم من حبها لرودريج . وعندما سألتها  
الفير عما تفكر فى القيام به ، أجابتها بأنها ستبغضه لتقتله  
ثم تموت على أثره وبذا تنهى متاعها وتحتفظ بمجدها .  
وعندما سمع رودريج هذه الكلمات تقدم لها لتقتله

فرفضت ذلك ، فإزاء رفضها بدأ يبرر مسلكه ، فقد  
قتل والدها الكونت ليحوى عاره ويبقى جديراً بها .  
وعندئذ ردت عليه شيمين فى حديث طويل قائلة :

« آه يا رودريج إننى وإن كنت عدوة لك إلا أنى  
أعذرك فيما محوت من العار . ومهما بدت أحزاني فلن  
ألومك وإنما أبكى مصيبتى . لأنى أعلم ما كان يتطلبه  
الشرف بعد هذه الإهانة الشديدة . وقد أديت واجبك  
كرجل صالح وهكذا علمتنى بأن أقوم بواجبى . .  
ومهما يكن فى قلبى من عوامل حبك فإن عزة نفسى  
تدعونى لأن أقتدى بك . ولقد أثبت بما اقترفت نحوى  
أنك جدير بى ، فيجب على بطلب موتك أن أظهر  
أننى جديرة بك » .

ويبدو فى هذا ومن المسالك العام لبطل المسرحية  
أعنى رودريج وشيمين ، أن الحب المحيد هو محور  
المسرحية وهو الحافز والحرك لتصرفات بطلها التى تبدو  
متناقضة فى الظاهر . ولقد رددت أغلب الكتب الأدبية  
والدراسات النقدية أن محور هذه المسرحية وغيرها من  
مسرحيات كورنى النزاع بين الواجب والعواطف  
الذى ينتهى دائماً بانتصار الواجب . ولكن هذا غير دقيق  
إذ أن المحمد هو المبدأ والهدف وهو الشريعة والعقيدة التى  
يسعى إليها أبطال كورنى . وقد اهتم كورنى بالأعمال  
الحيدة لأنه عاصر الدسائس التى حيكت ضد ريشوليو<sup>(١)</sup>  
(١٥٨٥ - ١٦٤٢) واضطرابات حرب الثلاثين  
عاماً<sup>(٢)</sup> وقرأ مؤلفات بلزاك (١٥٩٧ - ١٦٥٤)  
وشابولان (١٥٩٥ - ١٦٧٤) وسرازان (١٦٠٣ - ١٦٥٤) .

إن ما دار من الحديث فى المقابلة التى تمت بين  
الخطيبين مؤثر جداً . فكورنى يذكر لنا فى البحث الذى  
نشره عن مسرحية السيد أنه لاحظ فى المرات الأولى

(١) كان كردينا لا من رجال الدين وعين رئيساً للوزارة  
الفرنسية فى سنة ١٦٢٤ . ومن مآثره إنشاء مجمع اللغة الفرنسية .  
(٢) بدأت هذه الحرب فى سنة ١٦١٨ وانتهت فى سنة ١٦٤٨ .

لعرض مسرحيته لفئة عظيمة من المشاهدين لمعرفة ما سيحدث بين البطلين عندما يقف العاشق البائس أمام حبيبته وانتباهاً زائداً للحدث الذي سيدور بين البطلين في مثل هذه الحالة التي تدعو إلى الشفقة. ولا شك أنه في مثل هذه المقابلة الصعبة والتي كان يمكن أن تصدم المشاهدين يتصرف البطلان بصراحة كبيرة وكرامة عظيمة بحيث لا يمكن تجريحهما بل يكتسبان قلوب كل قاض عادل غير متحيز. فما أروع تبرير مسلكهما وما يتضمنه من تحليل عميق.

ولكن لماذا خاطر رودريج بنفسه وتوجه إلى بيت شيمين؟ ربما يرجع ذلك إلى رغبته في رؤية شيمين ليعرف حكمها عليه ثم ليبرر مسلكه وأخيراً ليسندها في مصيبتها وليقدم لها وسيلة سريعة ومضمونة للانتقام لوالدها. ولا شك أن خطيباً عادياً كان سيقصر على الاعتذار بينما أن رودريج لا يأسف على شيء. عندما يؤكد أنه سلك مسلكاً لا غبار عليه فإنه مخلص ويعرف مقدماً أن شيمين ستقدر اعتزازه بكرامته وصراحته. ولقد أوجز لها بوضوح الأسباب التي دعتة للإقدام على قتل والدها. وهي أولاً قانون الشرف الذي لا بد أن يخضع له كل إنسان حساس ثم حبه. إن الحب المحيد هو الذي أمره أن يستجيب لنداء الواجب لأنه لا شك أن شيمين كانت ستحتقرة لو أدخل بواجبه المقدس. وقد جاء بعد ذلك كفارس أمين ليعينها.

كان رودريج قد وصل إلى بيت شيمين قرب الغروب. وعند مغادرته في المساء قابل والده الذي لم يكن رآه منذ المبارزة والذي كان يبحث عنه في كل مكان قلقاً على مصيره ومشتاقاً لأن يعبر له عن مدى سروره. وعندما رآه احتضنه وشكره من أعماق نفسه. أخذ رودريج يتخنى الموت لفقده سعادته وليثبت اخلاصه لشيمين. وأن هذا الموقف ليسترعى الالتفات. إن رودريج في هذا الوقت لم يعد له أي عمل يقوم به ولذا استسلم للأحزان. ولقد أحسن كورنى بإظهاره تردد

بطله بين الشرف والحب طوال هذه المسرحية. وهكذا يبدو دوره أكثر تأثيراً. وبينما يفكر رودريج في الموت إذ بوالده يخبره باقتراب الأعداء من الوطن ويدعوه للذود عن حياضه حتى تصفح عنه شيمين ويعفو الملك عنه عند عودته مظفراً. وعندما ناداه العمل عاوده الأمل، وظهر له جبال المحد: مجد يهر خطيبته ويزيد قدره في عينها.

وفي الفصل الرابع وصل خبر انتصار رودريج وتقدير الشعب له إلى مسامع شيمين. وبالرغم من ذلك فلم تطلق العنان لحبها ولم تلن لأن مجدها تحتم عليها ذلك. إنها تقر بشجاعة أن رودريج أهل لحبها ولكنها واثقة أن إرادتها لن تلين. ولقد أبدى الملك إعجابه بشجاعته ووافق على تلقيبه بالسيد لأن أعداءه الأسرى دعوه هكذا ولأنه جدير بهذا اللقب. وأضاف قائلاً «إن الوطن الذي حميته يطلب مني الدفاع عنك. واعلم أن شيمين مهما تكلمت فلست أنصت لها إلا لتعزيتهما». وهكذا أصبح رودريج بطلاً لدفاعه عن وطنه وأصبح الشعب بأمله يهتم بمصيره. وارتفع قدره في عين شيمين وبذا مهد كورنى لنهاية المسرحية وأعد الجمهور لقبولها. وكان الملك يود أن يطيل الثناء على رودريج إلا أنهم أخبروه بوصول شيمين التي قدمت لتطلب منه أن يأخذ العدل مجراه. وهذه هي المرة الثانية التي تحضر فيها شيمين لمقابلة الملك ولما تنفض بعد على المقابلة الأولى إلا ساعات معدودة. ويرجع ذلك إلى قانون وحدة الزمان الذي يقضى بأن أحداث المسرحية يجب أن يتيسر إتمامها في فترة وجيزة من الزمن لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة. ولقد اعترف كورنى بذلك في البحث الذي نشره عن مسرحية السيد. ولا شك أن شيمين تلعب هنا دور ناكرة الجميل إذ أن الذي تطالب بعقابه أصبح الآن بطلاً محبوباً من الجميع وحائزاً على تقديرهم وحاملاً لإكليل المحد. وإن كانت تعلم جيداً أنها لن تستطيع عمل شيء تقريباً ضد منقذ الوطن ولكنها رأت أنه يتحتم

عليها أن تكافح ولو دون أمل لتثبت للجميع أنها لم تلق سلاحها .

ولكن هذه الشكوى الثانية تختلف عن الأولى إذ أن الملك وقد سمع بأن شيمين تحب رودريج أراد أن يختبرها . فأخبرها بأن رودريج مات على أثر انتصاره مشخناً بجروحه . فلاحظ الحاضرون اصفرار لونها وبدا عليها التأثير . وعندئذ صارحها الملك بأنه ما زال على قيد الحياة فتراجعت وقالت إن مفاعيل السرور والحزن واحدة في الإنسان . ولكن لم يصدقها الملك إذ أن حزنها كان بادياً للعيان . وبررت أن ما ظهر عليها من أمارات الحزن كان لموت رودريج قبل أن ينال القصاص الذي يستحقه على قتل أبيها . لقد ثارت جداً ولعل الشرف هو الذي جعلها تتظاهر بالغضب وتبالغ في رغبتها في الانتقام . حاولت بكل الطرق أن تمحو ذكرى الإهانة التي لحقتها لضعفها أمام الملك . وتمسكت بضرورة اختبار رودريج مرة أخرى . وصرحت بأن الفارس الذي سيأتيها برأس رودريج ستكون عروساً له . فأبدى دون صئش استعداده للقيام بهذه المهمة . وصرح الملك بأنها ستزوج المنتصر أيا كان . فخدمت ثورة شيمين بعد ما شعرت بأنها أدت واجبها إلى النهاية .

وفي الفصل الخامس والأخير تمت مقابلة أخرى بين رودريج وشيمين . وهكذا نلمس باستمرار أن هذين البطلين محور المسرحية . ولما كانت دراسة النفوس الإنسانية هي شغل كورني الشاغل ، فكلماً اقتراب من النهاية أخذ يزيد اهتمامه بتطور عاطفة شيمين لأن نهاية المسرحية تتوقف على مسلكها . ولقد تحولت التجربة المادية الجديدة التي ألفت برودريج فيها إلى تجربة نفسية . وكلماً اقتراب موعد المباراة زاد قلقها . وفي هذه الأثناء تقدم منها خطيبها . وربما كانت تتمنى حضوره ولكنها أخذت تفكر في سمعتها لأنه في هذه المرة حضر إليها في وضوح النهار وليس تحت جناح الظلام كما كان الحال في المرة الأولى . فأخذت تعاتبه على جسارته وطلبت إليه

أن ينسحب حتى لا تفقد شرفها . فبرر رودريج حضوره بأنه ذاهب إلى حتفه وقد جاء ليودعها . وعرفها بعزمه على عدم الدفاع عن نفسه . فوبخته ودعته ليفكر في مجده وعظمته وفي الإشاعات التي ستروج ضده لو قتل . ولا شك أننا ندرك الحقيقة ونعلم أنها تفكر قبل كل شيء في نفسها وفي عدم استطاعتها العيش بدونه . وإزاء إصرار رودريج رجته أن يقاتل ليخلصها من دون صئش ويتزوج منها . وهكذا أكدت له حبا . ويمكننا أن نقول إن في هذه النهاية الحقيقية للمسرحية . ولكن بعد انسحاب رودريج رجعت إلى نفسها وندمت على صراحتها مع رودريج وتمنت أن تنتهي المباراة دون انتصار أحد الطرفين . وصممت على أن تلاحق رودريج وتبحث له عن أعداء جدد إذا قتل دون صئش . ولما كتب النصر لرودريج أمهلها الملك سنة حتى تنقضي فترة الحزن على والدها وأرسل رودريج لمحاربة الأعداء في موطنهم .

لقيت مسرحية السيد نجاحاً منقطع النظير ، وأبدى بوالو (١٦٣٦-١٧١١) ولا بروير (١٦٤٥-١٦٩٦) إعجابهما بها . ولكن بالرغم من ذلك فقد هاجمها البعض ، فأعلن سكوديري (١٦٠١-١٦٦٨) أن موضوع المسرحية لا يساوي شيئاً ولا يتفق مع وحدات الزمان والمكان<sup>(١)</sup> والحدث<sup>(٢)</sup> ، وأن جمال المسرحية منقول . فاحتج عليه دى بلزاك (١٥٩٧-١٦٥٤) أحد أنصار كورني ، فطلب عندئذ سكوديري حكم المجمع اللغوي ، فظهر في سنة ١٦٣٨ رأى المجمع في مسرحية السيد ، وقد رأى أن المسرحية لم تحترم الوحدات واللياقة ، ولكن بالرغم من ذلك يتجلى فيها سحر لا يمكن شرحه .

(١) إن الحدث يجب أن يتم في نفس المكان .

(٢) يجب أن يكون حادث المسرحية موحداً أو بتعبير آخر

يجب أن ترتبط أجزاؤه ببعضها وتكون وحدة واحدة ولذا فن الأفضل استعمال تعبير الحادث الموحد بدلاً من وحدة الحدث .

وقد دافع كورنى عن مسرحيته فذكر أن الحدث يتم فى أربع وعشرين ساعة ولكنه أقر أنه اضطر إلى أن يستعجل الحوادث . حقاً إن هذه الحوادث من الكثرة يمكن لتنقضى فى يوم واحد . وتم الحوادث فى إشبيلية كما يقول كورنى وبذلك تحتفظ المسرحية بصفة عامة بوحدة المكان وإن كان المكان الخاص يتغير داخل نطاق إشبيلية ، فأحياناً يكون قصر الملك ، وأحياناً أخرى منزل شيمين أو شارعاً أو ميداناً عاماً . أما الحوادث فهى تتناوب جيداً ، وإن كانت المشاهد ليست دائماً متماسكة إذ أن خشبة المسرح تبقى أحياناً خالية .

ترجمت هذه المسرحية إلى عدة لغات . وقد قام الشيخ نجيب الخداد بتعريبها بتصرف تحت اسم « رواية السيد - غرام وانتقام » .

لقد واصل كورنى إنتاجه المسرحى فمثل فى سنة ١٦٤٠ مسرحية « هوراس » التى تهدف إلى إبراز مجد الوطن . كما مثل فى العام ذاته مسرحية « سينا أو رحمة أوجست » لإبراز مجد الرأفة والرحمة . وتعتبر هذه المسرحية من أنجح المسرحيات من الناحية الفنية . وبعد انقضاء فترة وجيزة على تمثيل سينا ، تزوج كورنى من ابنة ضابط تدعى مارى دى لامبيرير ، واستقر فى روان حيث عاش فى جو من الحنان والتقوى . ولكنه كان يذهب أحياناً إلى باريس ويتردد على صالون مدام دى رامبويه حيث قرأ على مسمع من الحاضرين فى سنة ١٦٤٢ مسرحيته الجديدة « بوليوكت » التى قوبلت بفتور . ولكن عندما شاهدها الجمهور فى سنة ١٦٤٣ أبدى حساسية أكثر من المترددين على الصالون الشهير . وترى هذه المسرحية إلى إبراز مجد الاستشهاد .

وفى الفترة من سنة ١٦٤٣ إلى ١٦٥٠ أظهر كورنى نشاطاً ملموساً . وحاول اختراق مجالات مختلفة لإشباع ميوله الشخصية وإرضاء الجمهور الذى يود التغيير .

ففى عام ١٦٤٣ مثل كورنى مأساة « موت يوميه » وملهامة « الكذاب » . ثم زاد فى العام التالى ملحماً مسرحية الكذاب . وقد جازاه مزاران<sup>(١)</sup> (١٦٠٢ - ١٦٦١) بتقرير منحة ثابتة له . ومثل كورنى فى سنة ١٦٤٤ مسرحية « رودوبجون » التى نالت نجاحاً باهراً . وفى سنة ١٦٤٥ فشلت مسرحيته الدينية « تيودورا العذراء والشهيدة » فشلاً ذريعاً . ولكنه حاز تقدير الجمهور مرة أخرى عند تمثيل « هيراقليوس » (١٦٤٧) وعين فى السنة ذاتها عضواً بالمجمع اللغوى الفرنسى . وتلبية لطلب مزاران ، أخذ يعد مسرحية نصفها كلام والنصف الآخر غناء وهى « أندروميد » التى اقتبسها من « تحولات أوفيد » . وفى العام ذاته مثلت مسرحية « دون صنش دى أراجون » وهى تجمع بين المزىل والشجاعة :

ولا يمكن أن ترقى أية مسرحية من مسرحيات هذه الفترة إلى مرتبة « السيد » أو « بوليوكت » : وقد أخذت العناية بالناحية الإنسانية تقل ولم نعد نشاهد النزاع المولم الذى كان يجعل موقف شيمين فى مسرحية السيد أو « أوجست » فى مسرحية سينا أو « سيفير » فى مسرحية بوليوكت مؤثراً . فقد تجمد الأبطال فى قسوتهم أو فضيلتهم فكفوا عن الكفاح وبذا ابتعدوا عن الحقيقة : وكان يبحث كورنى أحياناً عن الشهوات الخارقة للطبيعة كما هو الحال فى مسرحية « رودوبجون » . ومن جهة أخرى تعقد الحدث لدرجة أنه أصبح لا يتفق مطلقاً مع الحقيقة .

وقد مثل بعد ذلك « نيكوميد » (١٦٥١) التى يسعى فيها لإبراز مجد الازدراء . واحتجب تقريباً منذ سنة ١٦٥٢ بعد فشله الذريع فى « بيرتاريت » وقرر الانزواء والتقاعد . واستمر ذلك إلى حوالى سنة ١٦٥٩ فأخذ يؤلف كتباً دينية لاقت نجاحاً باهراً لدى جمهور

(١) كوردينال تولى رئاسة الوزارة الفرنسية فى القرن السابع عشر .

المتدينين . وفي سنة ١٦٥٨ منحه « فوكيه » إعانة قدرها ألف جنيه وأشار عليه بكتابة مسرحية عن « أوديب » مثلها في سنة ١٦٥٩ .

وتعتبر الفترة من ١٦٥٩ إلى ١٦٨٤ فترة التقاعد . وقد كتب فيها حوالي إحدى عشرة مسرحية لم يستطع أن ينسق فيها بين العظمة والحقيقة الإنسانية . وبالرغم من ذلك فلا يمكننا أن ننكر أن هنالك جمالا في بعض هذه المسرحيات . وفي سنة ١٦٧٤ مثل مسرحية « سورينا » التي مرت دون أن تسترعى الالتفات بينما نجحت في العام نفسه مسرحية « إفيجيني » لراسين ( ١٦٣٩ - ١٦٩٩ ) نجاحاً باهراً . فترك كورني المسرح نهائياً وأخذ يبحث عن التعزية والتسلية في المشاعر

العائلية والتقوى . وبينما هو في عزله عاد إليه بعض التقدير . فقد عمل الملك لويس الرابع عشر على تمثيل ست من مسرحياته في قصر فرساي كما أن الرعيل الجديد الذي تذر من مسرحياته الأخيرة بدأ يعود إليه . وفي أغلب أنحاء أوروبا بدأوا يمثلون مسرحياته ويترجمونها ويبدون إعجابهم بها . وقد أخذت كرسطينا ملكة السويد تتحمس لمسرحياته كما رفعت أسبانيا وإيطاليا إلى الذروة .

لقد تمكن كورني من أن يخلق عالماً ممتازاً بالبطولة والشجاعة والحد ولقب بوالد التراجيديات الفرنسية إذ أنه أصلح التراجيديات أو بتعبير أدق جدد لها ورفع من شأنها وقد وافته المنية في سنة ١٦٨٤ .

